على رضى الله وذلك اذا لم تهم بعلمهم اعظام الله واجلاله وهيبته ما يمنعه استجلاب رضى
المخلوق بما يجلب له سخط الخالق ربه ومليكه الذي يتصرف في القلوب ويفرج الكروب
ويغفر الذنوب وبهذا الاعتبار يدخل في نوع من الشرك لانه آثر رضى المخلوق على
رضى الله وتقرب اليه بما يسخط الله ولا يسلم من هذا الا من سلمه الله ووفقه لمعرفته ومعرفة
ما يجوز على الله من اثبات صفاته على ما يليق بجلاله وتنزيهه تعالى عن كل ما ينافي كمال
ومعرفة توحيده في ربوبيته والاهيته وبالله التوفيق **قوله** وان تحمدهم على رزق الله اي
على ما وصل اليك في ايديهم بان تضيفه اليهم وتحمدهم عليه فان المتفضل هو الله وحده
الذي قدره لك واوصله اليك واذا اراد امرا قيض له اسبابا ولا ينافي هذا حديث لا يشكر
الناس لا يشكر الله لان شكرهم انما هو بالدعاء لهم لكون الله ساقه على ايديهم فتدعو لهم
او تكافيهم لحديث من صنع اليكم معروفا فكافئوه فان لم تجدوا ما تكافئوه فادعوا له حتى تروا
انكم قد كافأتموه فاضافة الصنيعة اليهم لكونهم صاروا اسبابا في ايصال المعروف اليك
والذي قدره وساقه هو الله وحده **قوله** وان تذمهم على ما لم يؤتك الله لانه لم يقدر لك ما
طلبته على ايديهم فلو قدره لك لساقته المقادير اليك فمن علم ان المتفرد بالعطاء والمنع
هو الله وحده وانه هو الذي يرزق العبد بسبب وبلا سبب ومن حيث لا يحتسب لم يمدح مخلوقا
على رزق ولم يذمه على منع ويفوض امره الى الله ويعتمد عليه في امر دينه ودنياه وقد قرر هذا
المعنى بقوله في الحديث ان رزق الله لا يجره حرص حريص ولا يرده كراهية كاره كما قال تعالى ما
يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم **قال الشيخ**
رحمه الله اليقين يتضمن اليقين في القيام بامر الله وما وعد الله اهل طاعته ويتضمن اليقين
بقدر الله وخلقه وتدبيره فاذا ارضيتهم بسخط الله لم تكن موقنا لا بوعده ولا برزقه فانه
انما يحمل الانسان على ذلك اما ميل الى ما في ايديهم فيترك القيام فيهم بامر الله لما يرجوه منهم
واما ضعف تصديقه بما وعد الله اهل طاعته من النصر والتأييد والثواب في الدنيا والآخرة
فانك اذا ارضيت الله نصرك ورزقك وكفاك مؤنتهم وارضاؤهم بما يسخطه انما يكون خوفا
منهم ورجاء لهم وذلك من ضعف اليقين واذا لم يقدر لك ما تظن انهم يفعلونه معك
فالامر في ذلك الى الله لا لهم فانه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن فاذا ذممتهم على ما لم يقدر كان
ذلك من ضعف يقينك فلا تخفهم ولا ترجهم ولا تذمهم من جهة نفسك وهواك لكن من حمده الله
ورسوله فهو المحمود ومن ذمه الله ورسوله منهم فهو المذموم ولما قال بعض وفد بني تميم اي محمد اعطني منهم
فان حمدي زين وذمي شين قال النبي صلى الله عليه وسلم ذاك الله وفي الحديث ان الايمان يزيد وينقص وان الاعمال من الايمان
يزيد

قول

التمس صح

قوله وعن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من ارضى الله بسخط الناس رضي الله
عنه وارضى عنه الناس ومن التمس رضى الناس بسخط الله سخط الله عليه واسخط عليه الناس رواه
ابن حبان في صحيحه هذا الحديث رواه ابن حبان بهذا اللفظ ورواه الترمذي عن رجل من اهل
المدينة قال كتب معاوية رضي الله عنه الى عائشة رضي الله عنها ان اكتبي لي كتابا توصيني فيه ولا
تكثري علي فكتبت عائشة رضي الله عنها الى معاوية اما بعد فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول من التمس رضى الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس ومن التمس رضى الناس بسخط
الله لم يغنوا عنه من الله شيئا وكله الله الى الناس والسلام عليك ورواه ابو نعيم
قوله من التمس اي طلب **قال شيخ** الاسلام وكتبت عائشة الى معاوية وروي انها
رفعته من ارضى الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس ومن ارضى الناس بسخط الله لم يغنوا عنه من الله
شيئا هذا اللفظ المرفوع واللفظ الموقوف من ارضى الله بسخط الناس رضي الله عنه وارضى عنه الناس
ومن ارضى الناس بسخط الله عاد حامده له ذاما وهذا من اعظم الفقه في الدين فان من ارضى الله بسخطهم
كان قد اتقاه وكان عبده الصالح والله يتولى الصالحين والله كاف عبده ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه
من حيث لا يحتسب والله يكفيه مؤنة الناس بلا ريب واما كون الناس كلهم يرضون عنه فقد لا
يحصل ذلك لكن يرضون عنه اذا سلموا من الاغراض واذا تبين لهم العاقبة ومن ارضى الناس بسخط
الله لم يغنوا عنه من الله شيئا كالظالم الذي يعض على يديه واما كون حامده ينقلب ذاما فهذا يقع
كثيرا ويحصل في العاقبة فان العاقبة للتقوى لا تحصل ابتداء عند اهوائهم انتهى وقد احسن من
قال اذا صح منك الود يا غاية المنى فكل الذي فوق التراب تراب
قال ابن رجب رحمه الله فمن تحقق ان كل مخلوق فوق التراب فهو تراب فكيف يقدم طاعة من هو تراب
على طاعة رب الارباب ام كيف يرضي التراب بسخط الملك الوهاب ان هذا الشيء عجاب وفي الحديث
عقوبة من خاف الناس وآثر رضاهم على الله فان العقوبة قد تكون في الدين عياذا بالله من ذلك
كما قال تعالى فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون
قوله باب قول الله تعالى وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين قال ابو السعادات
توكل بالامر اذا ضمن القيام به ووكلت امري الى فلان اذا اعتمدت عليه ووكل فلان فلانا اذا استكفاه امره
ثقة بكفايته او عجزا عن القيام بامر نفسه انتهى واراد المصنف رحمه الله تعالى بهذه الترجمة بالآية بيان ان التوكل
فريضة يجب اخلاصه لله تعالى فان تقديم المعمول يفيد الحصر اي وعلى الله فتوكلوا لا على غيره فهو من اجمع انواع
العبادة واعظمها لما ينشأ عنه من الاعمال الصالحة فانه اذا اعتمد على الله في جميع اموره الدينية والدنيوية
دون كل ما سواه صح اخلاصه ومعاملته مع الله تعالى فهو من اعظم منازل اياك نعبد واياك نستعين فلا يحصل
كمال التوحيد بانواعه الثلاثة الا بالتوكل على الله كما في هذه الآية وكما قال تعالى ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان
كنتم مسلمين وقوله رب المشرق والمغرب لا اله الا هو فاتخذه وكيلا والآيات في الامر به كثيرة جدا

قال الامام

Copyright King Saud University